مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـــات الإنســـــانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

المسائل العقدية المتعلقة بالإنطاق الإلهي للمخلوقات
إنطاق الجوارح يوم القيامة أنموذجاً(*)

د/أحمد بن علي الزاملي عسيري
الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين- جامعة الملك خالد بأبها

*) تاريخ تسليم البحث 2/10/2021 تاريخ قبوله للنشر 6/10/2021
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

المسائل العقدية المتعلقة بالإنطاق الإلهي للمخلوقات
إنطاق الجوارح يوم القيامة أنموذجاً

د/أحمد بن علي الزاملي عسيري
الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين- جامعة الملك خالد بأبها

ملخص البحث

يهدف البحث إلى بيان المراد بالإنطاق الإلهي في اللغة، ومعناه الشرعي في حق الله تبارك وتعالى، وقول أهل السنة في فيه، بإثباته لله سبحانه، على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، وتقريره بجمع النصوص الواردة في إنطاق الله عز وجل للجوارح يوم القيامة أنموذجاً، وبيان دلالاتها الصحيحة، وآثار هذه الصفة الكريمة على العبد، ومقالات المخالفين لأهل السنة فيها، وتأويلاتهم لها، والرد عليها.

الكلمات المفتاحية: الإنطاق، التكلم، الجوارح، الإشهاد، الخلق، الحساب.

Doctrinal issues related to the divine scope of creatures Stretching the prey on the Day of Resurrection as a model

Dr. Ahmed bin Ali Al-Zamili Asiri
Assistant Professor, Department of Faith and Contemporary Doctrines College of Sharia and Fundamentals of Religion - King Khalid University in Abha

Research Summary

The research aims to clarify what is meant by the description of Allah the Almighty's uttering objects in the literally means and in the context of Islamic concept in the right of Allah, the Exalted, and the sayings of the Sunnis in it, by affirming it to Allah Almighty, in the manner appropriate to Him, Glory be to Him, and its determination by collecting the texts contained in Allah Almighty's uttering of the parts of the human body on the Day of Resurrection as a model, and the statement of its correct connotations, and the effects of this noble attribute on the accountable creature, and the statements of opponents of the Sunnis about it, their interpretations of it, and its invalidation.

Keywords: uttering, speeking, parts of the human body, attestation, creation, arithmetic**.**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الموصوف بصفات الجلال، المنعوت بنعوت الكمال، المنزه عن التشبيه والمثال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، وحجته على عباده.

أما بعد:

آتى الله عز وجل نبيه ﷺ الوحي المبين لدينه، الموضح لشرعته، ومن عظيم ذلكم الوحي إخبار الله عن نفسه فيه، قال تعالى: {وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ} [سورة الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: {قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ} [سورة الإسراء:١١٠]، ولا ريب أن تلكم النصوص المقدسة هي أعظم ما يمكن أن تؤدي عن الله مراده في الإخبار عنه، فلا أبلغ مما وصف الله عز وجل به نفسه، وكمال هذا الباب العظيم من التنزيل والختم، تمَّ على لسان رسوله ﷺ، الذي أخبرنا عن أسمائه ﷻ وصفاته، بالأخبار الصادقة، والعبارات الصريحة، فأبلغ ﷺ في وصف الله عز وجل بصفات الجلال ونعوت الكمال، وذكرها جملة وتفصيلاً، ومما أثبته السنة المظهر لله عز وجل صفة الإنطاق التي دلت عليها آيات القرآن كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [سورة فصلت: ٢١]، وعندما يستشعر الإنسان أن الله تعالى قادر على إنطاق جوارحه يوم القيامة، وشهادتها عليه بكل ما عملت في الدنيا، فإن هذا الشعور كفيل له في ترك كل ما يسوؤه سماعه يوم القيامة من شهادة الجوارح، وللكلام على هذه الصفة العظيمة وما يتعلق بها من مباحث عقدية، أتى هذا البحث بعنوان: **المسائل العقدية المتعلقة بالإنطاق الإلهي للمخلوقات** إنطاق الجوارح يوم القيامة أنموذجاً.

أهمية الموضوع:

إذا كانت قيمة الشيء رهينة بمقدار نفعه، فإن البحث في الصفات الإلهية عامة أقيم ما يمكن أن يتناوله الباحثون؛ إذ البحث فيها أنفع شيء للعباد، الذين حدد الله تعالى غاية خلقه إياهم بعبادتهم إياه، ومعرفة المعبود شرط في صحة العبادة، وفي قوتها كذلك؛ لأن معرفة الصفات الإلهية خير وسيلة لخير غاية، فضلاً عن كون هذا الوجه من دراسة صفة الإنطاق الإلهي وجها جديداً، فيه تقريره لصفة من صفات الله العلى، التي ثبتت بالكتاب والسنة، وما لمعرفة أن الجوارح ستستنطق يوم القيامة من الأثر على إيمان العبد واستقامة سلوكه.

أسباب اختيار الموضوع:

١- عدم وجود دراسة مستقلة لصفة الإنطاق الإلهية، وما يتعلق بها من مباحث عقدية، وخاصة فيما يتعلق بإنطاق الله تعالى للجوارح يوم القيامة لتشهد على صاحبها بالحق.

٢- أهمية البحث في الصفات الفعلية الاختيارية لله عز وجل تفصيلاً، خاصة وأن هذه الصفة – صفة الإنطاق– لم تدرس دراسة عقدية مستقلة.

٣- أن إثبات الصفات ومنها الإنطاق الإلهي فيه رد على المنكرين للصفات وهدم لأصولهم.

حدود البحث:

يقتصر البحث على أهم المسائل العقدية المتعلقة بالإنطاق الإلهي للجوارح يوم القيامة، مع بيان أدلتها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في بيان المراد بحقيقة صفة الإنطاق لله عز وجل وآثارها، وموقف أهل السنة وغيرهم منها.

منهج البحث:

اتَبعَتْ هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، الذي يتضمن جمع وتحليل ما يتعلق بموضوع الدراسة؛ إذ كان المصدر الذي اعتمد عليه القرآن والسنة وما استقى منهما، مع تصوير للمسائل وتحليلها وتأصيلها شرعياً وفق مناهج البحث المعتمدة، من أمور علمية مثل التخريج، والحكم على الأحاديث، والتوثيق، ونحو ذلك.

أهداف البحث:

١- إثبات حقيقة الإنطاق الإلهي وأنه صفة فعلية لله عز وجل.

٢- الوقوف على أهم المسائل العقدية المرتبطة بهذه الصفة العظيمة، وجمع ما سطره أهل العلم فيها.

الدراسات السابقة:

لم أقف فيما اطلعت عليه من مصادر، على من أفرد صفة الإنطاق لله تعالى في دراسة مستقلة، وإنما جاء تقرير أهل العلم لها في ثنايا مباحث مسائل الأسماء والصفات(١)، وشروح التفاسير لآية سورة فصلت: ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [٢١]، وغيرها من الآيات الدالة على الإنطاق الإلهي.

(١) ابن بطة الإبانة الكبرى، تحقيق: رضا معطي وآخرون، دار الراية للنشر والتوزيع (٣٠٣/٦) وغيرها.

تبويب البحث:

يتكوّن هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وفيها أهميّة الموضوع، والدّراسات السّابقة، وأسباب اختياره، ومنهجه، وتبويب البحث.

التّمهيد، ويشتمل على: الصفات الاختيارية بين السلف ومخالفيهم.

المبحث الأول: معنى الإنطاق الإلهي، والأدلة الواردة في تقريرها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الإنطاق في اللغة والشرع.

المطلب الثاني: الأدلة الواردة في تقرير صفة الإنطاق الإلهية من الكتاب والسنة.

المبحث الثاني: صفة الإنطاق الإلهية عند السلف ومخالفيهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج السلف ودلالات النصوص على إثبات صفة الإنطاق الإلهية.

المطلب الثاني: مناهج المخالفين في صفة الإنطاق الإلهية.

المبحث الثالث: علاقة صفة الإنطاق بأنواع التوحيد وأثر الإيمان بها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علاقة صفة الإنطاق بأنواع التوحيد.

المطلب الثاني: أثر علم العبد بالإنطاق على استقامة توحيده.

الخاتمة والتوصيات.

المراجع.

التمهيد

لأهل السنة والجماعة منهج واضح متسم بالشمول والاطِّراد في إثبات كلِّ ما يتعلق بباب الأسماء والصفات لله عز وجل، يتمثَّل في إثبات الصفة الواردة في النصوص من القرآن والسنة، وإثبات معناها على الوجه اللائق به سبحانه من غير مماثلة للمخلوقين، وقطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بها، وإثبات لازمها ومقتضاها(٢)؛ وذلك لأن القول في صفة كالقول في البعض الآخر(٣)، ومن هذا الباب تثبت صفة الإنطاق الإلهي للمخلوقات، وفق منهج أهل السنة والجماعة القويم في إثبات الصفات الكريمة لله سبحانه.

فالإنطاق المضاف في النصوص لله سبحانه وتعالى، دليل على إثبات صفة فعلية اختيارية لله عز وجل، على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى؛ لأن الأدلة –كما سيأتي بيانها– قد نصَّت على صفة الإنطاق، وكانت دلالتها عليها دلالة صحيحة صريحة جداً(٤).

والصفات الفعليَّة الاختيارية هي الصفات التي تقوم بذاته سبحانه وتتعلق بقدرته ومشيئته، كالكلام والمحبة والرضا، والغضب، والمجيء، والأخذ، والإمساك، والبطش وغير ذلك من الصفات التي لا تحصى(٥)، فوجه كون صفة الإنطاق صفة فعليَّة لله سبحانه وتعالى؛ فلأنها صفة لله منفكَّة عن ذاته العَلِية، غير ملازمة لها، بخلاف غيرها من الصفات اللازمة لذاته العليَّة سبحانه: كالوجه، واليدين، والحياة، والقدرة، والعلم، وأما كونها اختيارية: فلتعلُّقها بالمشيئة، وأنها تكون حال حصول مقتضياتها كغيرها من الصفات الاختيارية: فإنها تحصل متى ما شاء الله أن يجعل على العبد شاهداً من نفسه فيُنطق من خلقه ما يشاء كيف يشاء(٦).

وحصول الصفة الاختيارية بمشيئة الله لا يدل على انتفاء وصف الله بها قبل ذلك، ولا أنها تجدَّدت له بعد أن لم يكن بها متصفاً، فالله سبحانه متصف بصفات الكمال– التي منها صفاته الاختيارية– أزلاً وأبداً، وإنما كانت الصفات الاختيارية ليست كالصفات الذاتية – الملازمة للذات

(٢) ينظر: ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧ م (٧/ ١٤٥)؛ ابن تيمية، الرسالة التدمرية، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م (١٦/٣)؛ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م (٤/ ١٨١)؛ التميمي، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، أضواء السلف، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م (ص ٧١).

(٣) ينظر: الرسالة التدمرية (١٦/٣).

(٤) ينظر: ابن تيمية، جامع المسائل، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٢ هـ (١/ ٢٠٩).

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (٢١٧/٦)، بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ٢٨٦).

(٦) ينظر: ابن القيم، الصواعق المرسلة، تحقيق: حسين بن عكاشة بن رمضان، دار ابن حزم، ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م (٣/ ٩٤٨)؛ الصابوني، عقيدة السلف أصحاب الحديث، تحقيق: ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار العاصمة، (١٤١٩ – ١٩٩٨). (ص٣٩)؛ محمد بن خليفة التميمي، الصفات الإلهية تعريفها أقسامها، أضواء السلف، ١٤٢٢ – ٢٠٠٢م (ص ٦٥-٦٦).

العلية كالوجه واليدين وغيرها– من حيث تعلُّقها بالمشيئة[٧]، يقول ابن تيمية (٧٢٨هـ) رحمه الله: "كون الشيء واجب الوقوع لكونه قد سبق به القضاء، وعلم أنه لا بد من كونه لا يمتنع أن يكون واقعاً بمشيئته وقدرته وإرادته– وإن كانت من لوازم ذاته كحياته وعلمه– فإن إرادته للمستقبلات هي مسبوقة بإرادته للماضي: {إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢} [سورة يس:٨٢]، وهو إنما أراد هذا الثاني بعد أن أراد قبله ما يقتضي إرادته، فكان حصول الإرادة اللاحقة بالإرادة السابقة"[٨].

وعلى هذا مضى السلف كلهم رحمهم الله، يقول الإمام ابن القيم (٧٥١هـ) رحمه الله: "لم يتنازع الصحابة في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة، من أولهم إلى آخرهم... ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم"[٩]، فآمنوا بما تقتضيه تلك الصفات من الآثار وما يترتب عليها من الأحكام[١٠].

المبحث الأول: معنى الإنطاق الإلهي، والأدلة الواردة في تقريرها.

المطلب الأول: معنى الإنطاق في اللغة والشرع:

الإنطاق لغة: من أصل نطق الناطق ينطق نطقاً: تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعاني، والمنطق: الكلام، وكلام كل شيء منطقه، ومنه قول الله جل وعز: ﴿عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ [سورة النمل: ١٦]، وقد أنطقه الله واستنطقه: أي جعله يتكلم بحرف وصوت تعرف بها المعاني، ومنه قول الله عز وجل: ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [سورة فصلت: ٢١][١١].

ويراد بالناطق ما له صوت، ولا يقال للحيوان ناطق إلا مقيداً أو على سبيل التشبيه، "فهو تعالى قد أنطق سائر الأشياء نطقاً معتاداً أو غير معتاد، فأنطق الإنسان والجان وغير ذلك من خلقه نطقاً معتاداً، وأنطق السماوات والأرض وما بينهما نطقاً غير معتاد"[١٢]، يقول الشاعر:

---

(٧) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٥٩/٩)؛ ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م (٣٩١/٦)؛ الموصلي، مختصر الصواعق المرسلة، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٣٩٥/٤).

(٨) ابن تيمية، رسالة في الصفات الاختيارية، (ضمن جامع الرسائل ٣٩/٢) .

(٩) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م (٣٩/١).

(١٠) ينظر: الذهبي، العرش، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م (٣٣/١-٣٤).

(١١) ينظر: ابن منظور لسان العرب، دار صادر، ١٤١٤ هـ (٣٥٤/١٠)؛ الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م، (٢٤/٩)؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م (ص ٩٢٦)؛ أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، (٢٢٢٩/٣).

(١٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٥٠٢/١٢-٥١١)؛ عبد الله بن يوسف الجديع، العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية، دار الإمام مالك، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م (ص ٣١٨).

عجبت لها أنى يكون غناؤها ... فصيحاً ولم تفغر بمنطقها فما[١٣]

فتبين أن الاستنطاق هو القدرة على استخراج الكلام بطريقة معتادة أو غير معتادة.

والإنطاق الإلهي شرعاً يعني: قدرة الله سبحانه وتعالى على جعل الأشياء تتكلم بصوت وحرف، تعرف بها المعاني بطريقة معتادة أو غير معتادة، وهو بهذا المعنى لا يبعد عن المراد منه في اللغة، بل ينطبق على ذات المعنى.

وهذا المعنى هو الذي يُفهم من سياق النصوص التي أضيفت فيها هذه الصفة للباري سبحانه، وسيأتي في المطلب التالي بيانه على وجه التفصيل بإذن الله تعالى.

المطلب الثاني: الأدلة الواردة في تقرير صفة الإنطاق الإلهية من الكتاب والسنة:

وحيث إن صفات الله تعالى لا تثبت إلا بورودها صريحة بلفظها في كتاب الله أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة[١٤]، فإننا سنقتصر على الآيات والأحاديث الواردة في إثبات صفة الإنطاق للجوارح يوم القيامة كما هو المقرر في حدود البحث، فيما يلي:

أولاً: الآيات الواردة في صفة الإنطاق لله تعالى:

الآية الأولى: قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [سورة فصلت: ٢١].

قال ابن جرير (٣١٠هـ) رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الذين يحشرون إلى النار من أعداء الله سبحانه لجلودهم إذ شهدت عليهم بما كانوا في الدنيا يعملون: لم شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا؟ فأجابتهم جلودهم: ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ فنطقنا؛ وذكر أن هذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله إياها عليهم إذا هم أنكروا الأفعال التي كانوا فعلوها في الدنيا بما يسخط الله، وبذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ "[١٥].

وقال الشيخ السعدي (١٣٧٦هـ) رحمه الله: "﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ﴾ هذا دليل عل أن الشهادة تقع من كل عضو كما ذكرنا: ﴿لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَا﴾ ونحن ندافع عنكن؟ ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ فليس في إمكاننا، الامتناع عن الشهادة حين أنطقنا الذي لا يستعصي عن مشيئته أحد،

(١٣) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م (٤/١٩٠-١٩١)، والبيت للشاعر حميد بن ثور، ينظر لسان العرب مادة "فغر" (٥/٥٩).

(١٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١١/١٨، ٣٠)؛ ابن عثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، الجامعة الإسلامية، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م (ص٢٩).

(١٥) ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (٢٠/٤٠٦-٤٠٩).

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فكما خلقكم بذواتكم، وأجسامكم، خلق أيضا صفاتكم، ومن ذلك الإنطاق"(١٦).

الآية الثانية: قوله تعالى: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾} [سورة النور: ٢٤]

قال الشوكاني (١١٧٣هـ) رحمه الله: "تشهد ألسنة بعضهم على بعض في ذلك اليوم، وقيل: تشهد عليهم ألسنتهم في ذلك اليوم بما تكلموا به وأيديهم وأرجلهم بما عملوا بها في الدنيا، وإن الله سبحانه ينطقها بالشهادة عليهم، والمشهود محذوف وهو ذنوبهم التي اقترفوها، أي: تشهد هذه عليهم بذنوبهم التي اقترفوها ومعاصيهم التي عملوها"(١٧).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: "فكل جارحة تشهد عليهم بما عملته، ينطقها الذي أنطق كل شيء، فلا يمكنه الإنكار، ولقد عدل في العباد، من جعل شهودهم من أنفسهم"(١٨).

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥].

قال ابن كثير(٧٧٤هـ) رحمه الله: "هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة، حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا، ويحلفون ما فعلوه، فيختم الله على أفواههم، ويستنطق جوارحهم بما عملت"(١٩).

قال القرطبي(٦٧١هـ) رحمه الله: "فختم الله على أفواههم حتى نطقت جوارحهم، قاله أبو موسى الأشعري"(٢٠).

ثانياً: الأحاديث الصحيحة الواردة في صفة الإنطاق لله تعالى:

جاءت أحاديث كثيرة تثبت صفة إنطاق الله تعالى للمخلوقات على اختلافها سواء في الدنيا أو في الآخرة، ولكن نكتفي بالأحاديث التي جاءت بلفظ (الإنطاق) أو (الاستنطاق) للجوارح في الآخرة كما هو المقرر في حدود البحث، والتي تثبت بها صفة الإنطاق الإلهية:

الحديث الأول: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟، قال: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة، ليست في سحابة؟»، قالوا: لا، قال: «فهل

(١٦) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م (ص٧٤٧)؛ ينظر: مجير الدين الحنبلي، فتح الرحمن في تفسير القرآن، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م (١٥٢/٦).

(١٧) الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ (٢١/٤).

(١٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٥٦٣).

(١٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (٥٨٥/٦).

(٢٠) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م (٤٩/١٥).

تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ليس في سحابة؟»، قالوا: لا، قال: «فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، قال: فيلقى العبد، فيقول: أي قل ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟، فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟، فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أي قل ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس، وتربع، فيقول: بلى، أي رب فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك، وبكتابك، وبرسلك، وصليت، وصمت، وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذا، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: **انطقي**، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه"[٢١].

الحديث الثاني: ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك، فقال: (هل تدرون مما أضحك؟) قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: (من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟، قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: **انطقي**، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال فيقول: بعداً لكن وسحقاً، فعنكن كنت أناضل)[٢٢].

وأخرج الإمام أحمد (٢٤١هـ)، والطبراني (٣٦٠هـ) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً: "إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل الشمال"[٢٣].

الحديث الثالث: ما جاء عن يسيرة رضي الله عنها –وكانت من المهاجرات– قالت: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا نساء المؤمنين، عليكن بالتهليل والتسبيح والتقديس، ولا تغفلن فتنسين الرحمة، واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات **مستنطقات**)[٢٤].

ومما سبق يتضح أن صفة الإنطاق الإلهي قد ثبتت بها الأدلة السابقة من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، مضافة إليه سبحانه، فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به[٢٥]،

(٢١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، حديث (٢٩٦٨).
(٢٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، حديث (٢٩٦٩).
(٢٣) مسند الإمام أحمد حديث (١٧٦٤٨)؛ المعجم الكبير للطبراني حديث (٩٢١)؛ البحور الزاخرة في علوم الآخرة، السفاريني (٢/ ٨٢٧).
(٢٤) مسند الإمام أحمد، حديث (٢٧٠٨٩)؛ سنن أبي داود، كتاب: أبواب فضائل القرآن، باب: التسبيح بالحصى، حديث: (١٥٠١)؛ سنن الترمذي، كتاب: أبواب الدعوات، باب، حديث (٣٥٨٣)، والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (٤٠٨٧).
(٢٥) ينظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص٢١-٢٢، ٢٤).

متجنبين كل ما يوهم التمثيل والتكييف لهذه الصفة الربانية العظيمة؛ لأنها صفة مدح وكمال، تتعلق بحكمته ومشيئته تعالى إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه ومجيئه يوم القيامة ونزوله واستوائه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر"(٢٦).

المبحث الثاني: صفة الإنطاق الإلهية عند السلف ومخالفيهم.

المطلب الأول: منهج السلف ودلالات النصوص على إثبات صفة الإنطاق الإلهية:

تتفق عقيدة أهل السنة والجماعة في **إثبات صفة الإنطاق كما في إثبات غيرها من صفات الله تعالى** الواردة في كتاب الله تعالى أو في السنة الصحيحة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقال تعالى: {وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ﴿٢١﴾} [سورة فصلت:٢١]، وقال سليمان عليه الصلاة والسلام: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ ﴿١٦﴾} [سورة النمل: ١٦]، وقال تعالى: {فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾} [سورة الذاريات:٢٣]، فهم نطقوا **وهو أنطقهم**، وهو الذي أنطق كل شيء"(٢٧)، وقال: "وقد عُلم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها، إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل... فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قال تعالى: {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [سورة الشورى:١١]، ففي قوله: {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ} رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: {وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} رد للإلحاد والتعطيل"(٢٨).

وأن الله تعالى **يُنطِقُها كيف شاء، ومتى شاء**، يقول الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) رحمه الله في معرض رده على الجهمية(٢٩) في إنكارهم لكلام الله تعالى: "وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان وأدوات، أليس الله قال للسموات والأرض: {ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ} [سورة فصلت:١١]، تراها

(٢٦) مجموع الفتاوى (٤٦٦/٥)؛ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص٢٥-٢٨).
(٢٧) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م (٢٤٣/٣).
(٢٨) التدمرية (٧-٨).
(٢٩) الجهمية فرقة تنتسب إلى جهم بن صفوان، أهم معتقداتها: نفي أسماء الله وصفاته، القول بأن الإيمان هو المعرفة فقط، وأن الكفر هو الجهل به، القول بالجبر فلا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وأن نسبة الأفعال للناس مجازية، القول بفناء الجنة والنار. يُنظر: الفرق بين الفرق (ص: ١٩٩، ٢٠٠).

أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات؟ وقال: {وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ} [سورة الأنبياء:٧٩]، أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين؟ والجوارح إذ شهدت على الكفار، فقالوا: {لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ} [سورة فصلت:٢١]، أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء"[٣٠].

وأن الله سبحانه **قادر على إنطاق كل شيء**، قال ابن بطة (٣٨٧هـ) رحمه الله: "فأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم ولسان وشفتين، أفترى الجوارح التي تشهد على أهلها يوم القيامة بما كانوا يعلمون، حتى تنطق بكلام مفهوم وأمر معلوم، فهل كان لها جوف وألسنة وشفاه ولهوات؟ فإن الله تعالى قد أخبرنا بذلك، فقال: {حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠} [سورة فصلت: ٢٠]، فالذي أنطق كل شيء من غير الحيوان الناطق من غير جوف ولا لسان ولا شفتين، قادر أن يتكلم هو بما شاء كيف شاء لمن شاء، ولا نقول بلسان ولا بجوف ولا شفتين"[٣١]، إن كان هذا من قول الجوارح يوم القيامة-عطفا على: {وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١} [سورة فصلت: ٢١]. فهو توجيه ثان لإنطاقها، وتقريره: أن إنطاق الجوارح أيسر من خلقها أول مرة، فالقدرة عليه أولى[٣٢].

والإنطاق فعل الله الذي لا يجوز تعطيله، قال ابن القيم رحمه الله: "وأهل العلم والاعتدال ... استقر عندهم الشرع والقدر في نصابه، وشهدوا وقوع الثواب والعقاب على من هو أولى به، **فأثبتوا نطق العبد حقيقة، وإنطاق الله له حقيقة**، قال تعالى: {وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ٢١} [سورة فصلت: ٢١]، فالإنطاق فعل الله الذي لا يجوز تعطيله، والنطق فعل العبد الذي لا يمكن إنكاره، ونظير هذا قوله تعالى:{وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ٤٣} [سورة النجم: ٤٣] فهو المضحك المبكي حقيقة والعبد الضاحك الباكي حقيقة... والضحك والبكاء فعلان اختياريان"[٣٣]، **سيما والدار الآخرة محل خرق العادات**[٣٤]، فكل هذا الإنطاق من خلق الله في الأشياء، فنطقها صفات لها، ولا يقول أحد: إن نطق الأشياء صفة لله، **إلا**

(٣٠) ابن حنبل، الرد على الجهمية والزنادقة، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م (ص ١٣٦-١٣٧).

(٣١) ابن بطة الإبانة الكبرى، تحقيق: رضا معطي وآخرون، دار الراية للنشر والتوزيع (٣٠٣/٦)؛ الغنيمان، شرح العقيدة الواسطية (٨/٩، ترقيم آلي) دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية **http://www.islamweb.net**.

(٣٢) الطوفي، الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، تحقيق: حسن بن عباس بن قطب، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م (ص: ٥٥٧).

(٣٣) ابن القيم، شفاء العليل، تحقيق: زاهر بن سالم بَلفقيه، دار عطاءات العلم، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م (٤٣٨/١-٤٣٩).

(٣٤) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م (٢/ ٥٥٨).

حلولي[٣٥] **مارق يعتقد أن صفة الله تحل في المخلوق**، أو اتحادي[٣٦] يرى اتحاد المخلوق في الخالق، وهذا غاية الكفر والإلحاد[٣٧].

المطلب الثاني: مناهج المخالفين في صفة الإنطاق الإلهية:

لم أقف على قول للمخالفين في صفة الانطاق بالتحديد، إلا أنه بالإمكان معرفة موقف الفرق المخالفة من الإنطاق الإلهي بعد أن أُثبت أنها من صفات الله تعالى الفعلية، ذلك أن أصولهم في تقرير صفات الله وأسمائه واحده، وهي من حيث العموم "تنقسم إلى ثلاثة أقسام[٣٨].

القسم الأول: نفي جميع الأسماء والصفات:

وهذا قول الجهمية أتباع جهم بن صفوان (١٢٨هـ) وقول الفلاسفة، سواء كانوا أصحاب فلسفة محضة[٣٩] كالفارابي (٣٣٩ هـ)، أو فلسفة باطنية[٤٠] إسماعيلية[٤١] قرمطية[٤٢] كابن سينا (٤٢٧هـ)، أو فلسفة صوفية[٤٣] اتحادية كابن عربي (٦٣٨هـ) وابن سبعين (٦٦٩هـ) وابن الفارض (٦٣٢هـ).

---

(٣٥) الحلول لغة: النزول؛ حل بالمكان، أي نزل فيه. يُنظر: لسان العرب (١٦٣/١١). والمراد به في الاصطلاح العام: أن يحل أحد الشيئين في الآخر. وهو نوعان: سرياني: وهو اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري: حالًا، والمسري فيه: محلًا. وجواري: وهو كون أحد الجسمين ظرفًا للآخر، كحلول الماء في الكوز. يُنظر: الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م (ص: ٩٢). والحلولي: هو من يعتقد حلول الله –عز وجل - في مخلوقاته، أو بعضها. وأكثر الفرق الحلولية من غلاة الروافض؛ كالسبابية والبيانية والجناحية والخطابية والنميرية، أو من غلاة الصوفية؛ كالحلاجية. والفرق الحلولية على طريقتين: أولاهما القائلين بالحلول الخاص، كالذين يقولون بحلول الإله في علي، أو الأئمة، أو غيرهم. وثانيهما: القائلون بالحلول العام، الذين يقولون بحلول الإله في جميع المخلوقات. يُنظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة،١٩٧٧م (ص: ٢٤١)؛ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ -١٩٩١ م (١٥١/٦).

(٣٦) الاتحاد: التوحد الانفراد، واتحاد شيئان، أو أشياء امتزاجها واختلاطها حتى تصير شيئًا واحدًا. يُنظر: لسان العرب (٤٥٠/٣)؛ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة (١٠١٦/٢)؛ التعريفات (ص: ٨، ٩). والمقصود بالاتحادي: من يعتقد اتحاد الله – عز وجل - بمخلوقاته، أو ببعض مخلوقاته؛ أي يعتقد أن وجود الكائنات أو بعضها هو عين وجود الله - تعالى -. والقائلين بالاتحاد على طريقتين: أحدها: القائلين بالاتحاد العام: وهو اعتقاد كون الوجود هو عين الله – تعالى-؛ بمعنى أن الخالق متحد بالمخلوقات جميعها. والقائلون به يسمون الاتحادية، أو أهل وحدة الوجود كابن الفارض، وابن عربي، وغيرهما. ثانيهما: القائلين بالاتحاد الخاص: هو اعتقاد أن الله - تعالى- اتحد ببعض المخلوقات دون بعض. فقالوا إنه اتحد بالأنبياء، أو الصالحين، أو الفلاسفة، أو غيرهم. وهم بذلك ينزهونه من الاتحاد بالأشياء القذرة القبيحة. كاليونسية وبعض العدوية والحاكمية وغيرهم. يُنظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤٠/٢، ١٤١)؛ ابن تيمية، جامع المسائل (١/ ١٣٣- ١٣٦)، (١٧٧/١- ١٨٠).

(٣٧) العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية (ص: ٣١٨).

(٣٨) محمد بن خليفة التميمي، مقالة التعطيل والجعد بن درهم، أضواء السلف، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م (ص٢٤-٢٥).

(٣٩) الفلسفة كلمة معرَّبة عن اليونانية، مركبة من كلمتين هما: الأولى: فيلو، أو فيلا ومعناهما: المحبة، أو الإيثار. والثانية: سوفيس، أو سوفيا ومعناهما: الحكمة. وتعرف الفلسفة بـ: محبة الحكمة، أو إيثار الحكمة، ويعرَّفُ الفيلسوف بأنه: محب الحكمة، أو المؤثر للحكمة. ويطلق على العلم بحقائق الأشياء والعمل بالأصلح. يُنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي (٢/ ١١٦)؛ جميل صليبا، المعجم الفلسفي (١٦٠/٢).

(٤٠) ما بَطَنَ؛ أي ما خَفِي، والباطن ما احتاج إلى تفسير بخلاف الظاهر . يُنظر: لسان العرب (٥٤/١٣)؛ المعجم الوسيط (٦٢/١). والباطنية فرقة من الشيعة تعتقد أن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً. يُنظر: الملل والنحل (١٩٢/١)؛ المعجم الفلسفي (١٩٤/١).

(٤١) الإسماعيلية: فرقة شيعية باطنية، تميزت عن الفرق الشيعية بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر، يعتقدون بإلهين للكون، وبِقِدَم العالَم . يُنظر: الملل والنحل (١٩١/١)؛ الفرق بين الفرق (ص: ٢٦٥)

(٤٢) القرمطة: في الخط دقة الكتابة، وتداني الحروف، وفي المشي مقاربة الخطو، وتداني المشي لسان العرب (٣٧٧/٧). والقرامطة فرقة شيعية باطنية، تنتسب إلى حمدان قرمط لقب بذلك لقرمطة في خطه أو في خطوه، يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع. يُنظر: الفرق بين الفرق (ص: ٢٧٨، ٢٦٦).

(٤٣) التصوُّف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا مميزة معروفة باسم الصوفية.

قال ابن تيمية رحمه الله: "والتحقيق أن التجهم المحض وهو نفي الأسماء والصفات، كما يحكى عن جهم والغالية من الملاحدة ونحوهم من نفي أسماء الله الحسنى، كفر بين مخالف لما علم بالاضطرار من دين الرسول"[٤٤].

القسم الثاني: نفي الصفات دون الأسماء:

وهذا قول المعتزلة[٤٥]، ووافقهم عليه ابن حزم الظاهري (٤٥٦هـ)، والرافضة الإمامية[٤٦]، والإباضية[٤٧]، يقول ابن المرتضى(٨٤٠هـ): "فقد أجمعت المعتزلة على أن للعالم محدثاً قديماً قادراً عالماً حياً لا لمعان ..."[٤٨].

القسم الثالث: إثبات الأسماء وبعض الصفات ونفي البعض الآخر:

وهذا قول الكلابية[٤٩] والأشاعرة[٥٠] والماتريدية[٥١]، فالكلابية وقدماء الأشاعرة: يثبتون الأسماء والصفات ما عدا صفات الأفعال الاختيارية –أي التي تتعلق بمشيئته واختياره–، فهم إما يؤولونها أو يثبتونها على اعتبار أنها أزلية، وذلك خوفاً منهم على حد زعمهم من حلول الحوادث بذات الله، أو يجعلونها من صفات الفعل المنفصلة عن الله التي لا تقوم به.

وأما الأشاعرة المتأخرون ومعهم الماتريدية فهم يثبتون الأسماء وسبعاً من الصفات هي (الحياة، العلم، القدرة، السمع، البصر، الإرادة، الكلام)، ويزيد بعض الماتريدية صفة ثامنة هي (التكوين)، وينفون باقي الصفات ويؤولون النصوص الواردة فيها ويحرفون معانيها[٥٢].

---

(٤٤) ابن تيمية، النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م (٥٧٨/١).

(٤٥) هي فرقة ظهرت في أول القرن الثاني، تقدم العقل على نصوص الكتاب والسنة. ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ (١٩٥/٤).

(٤٦) هذه الفرقة لها عدة أسماء، فإذا قيل عنهم الرافضة فهم الذين يرفضون إمامة الشيخين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهم -، وإذا قيل لهم الإمامية فلأنهم جعلوا الإمامة ركناً خامساً من أركان الإسلام، وجعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي شغلتهم. ينظر: مقالات الإسلاميين (٦٥/١)، الملل والنحل (١٤٦/١)، الفرق بين الفرق (ص٢٩).

(٤٧) الإباضية بين فرق الخوارج، وأشهر مسألة اختلفوا فيها مع غيرهم مسألة الموقف من المخالفين، أي حكمهم على بقية المسلمين، فأغلب الخوارج يرون ما عداهم من المسلمين كفاراً مشركين، أما الأباضية، فإنها وإن رأت جواز قتال المسلمين أحياناً، إلا أنها تقول: بأنهم كفار نعمة، ويجرون عليهم أحكام الموحدين. ينظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١٨٣/١) وما بعدها، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص١٠٣)، والملل والنحل للشهرستاني (١٣٣/١).

(٤٨) ابن المرتضى، المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد، ١٣١٦هـ (ص٦).

(٤٩) هم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب من آرائهم: أن أسماء الله وصفاته لذاته لا هي الله ولا هي غيره، وأنها قائمة بالله، ولا يجوز أن تقوم بالصفات صفات، وأن الصفات لا تتغاير، وأن العلم لا هو القدرة ولا غيرها، وكذلك سائر الصفات، وأن الإيمان لا يتفاضل بمعنى أنه شيء واحد لا يزيد ولا ينقص. وأن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الله. ينظر: مقالات الإسلاميين (٢٤٩/١- ٢٥٣، ٢٢٥/٢ -٢٢٧)، نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني (ص١٨١)، أصول الدين لعبد القاهر البغدادي (ص٥٠).

(٥٠) الأشاعرة: هم طائفة من طوائف أهل الكلام، ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني بعد رجوعه عن الاعتزال، وعامتهم يثبتون سبع صفات فقط لله تعالى، ويوافقون المرجئة في الإيمان، والجبرية في القدر. ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (٩٤/١).

(٥١) هم طائفة من طوائف أهل الكلام، ينتسبون إلى أبي منصور الماتريدي، وعامتهم يثبتون ثمان صفات فقط لله تعالى، ويقولون: بالكلام النفسي، وأن القرآن حكاية عن كلام الله، ويوافقون الأشاعرة في كثير من أصولهم. ينظر: أصول الدين للبزدوي (ص٢) وما بعدها، التمهيد لأبي المعين النسفي (ص١٦) وما بعدها.

(٥٢) العرش (٧٥/١- ٧٧).

ويتبين من معرفة هذه الأقسام الثلاثة، أن المخالفين من المعطلة على اختلاف مذاهبهم لا يثبتون صفة الإنطاق الإلهية، كصفة فعلية اختيارية لله تعالى على الوجه الذي يليق به سبحانه.

وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق من نفيه أو تأويله؛ لأنه يقص الحق، وقوله الحق، تبارك وتعالى علواً كبيراً، ولذا أنكر أهل السنة والجماعة حمل ظاهر نصوص الصفات ومنها الإنطاق على المجاز مع إمكانية حمله على الحقيقة(٥٣)؛ لأن الله عز وجل الذي أنطق كل شيء، ينطق ما يشاء كيف يشاء، بل وجد في الدنيا ما يدل على ما جاء في ذلك يوم القيامة، كما في الحديث عند مسلم "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر على حجر بمكة فيسلم عليه"(٥٤) يعني يقول: السلام عليك يا محمد، فهذا مخلوق غير ناطق وجد منه الكلام بدون جوف ولا لسان ولا شفتين، ولم يلزم أن يكون مثل ما كنا نعقل(٥٥)، فيفرق **بين نطقه وبين إنطاقه لغيره**، وعود الضمير إلى محلة في قولهم: { قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ} [سورة فصلت:٢١]، دليل إضافة صفة الإنطاق لله عز وجل، وكل عين يمكن أن يخلق فيها النطق فتنطق، فالجارحة يمكن أن يخلق فيها النطق فتنطق، كما أنطق الجوارح إذ شهدت على الكفار، فأثبتوا نطق المخلوق حقيقة **وإنطاق الله له حقيقة**، فالإنطاق فعل الله الذي لا يجوز تعطيله والنطق فعل العبد الذي لا يمكن إنكاره(٥٦).

المبحث الثالث: علاقة صفة الإنطاق بأنواع التوحيد وأثر الإيمان بها:

المطلب الأول: علاقة صفة الإنطاق بأنواع التوحيد:

معرفة العلاقة بين صفة الإنطاق الإلهية وبين توحيد الربوبية والألوهية، هو بمعرفة العلاقة بين توحيد الأسماء والصفات وسائر أنواع التوحيد، "وقد أوضح بعض أهل العلم هذه العلاقة بقولهم: "هي علاقة تلازم وتضمن وشمول"، فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات شامل للنوعين معاً، بيان ذلك: أن من أقر بتوحيد الربوبية وعلم أن الله سبحانه هو الرب وحده لا شريك له في ربوبيته، لزمه من ذلك الإقرار أن يفرد الله بالعبادة وحده سبحانه وتعالى؛ لأنه لا يصلح أن يعبد إلا من كان ربا خالقاً مالكاً مدبراً، وما دام كله لله وحده وجب أن يكون هو المعبود وحده.

وأما توحيد الأسماء والصفات فهو شامل للنوعين معاً؛ وذلك لأنه يقوم على إفراد الله تعالى بكل ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي لا تنبغي إلا له سبحانه وتعالى، والتي من جملتها: الرب– الخالق– الرازق– الملك، وهذا هو توحيد الربوبية، ومن جملتها: الله– الغفور– الرحيم– التواب، وهذا هو توحيد الألوهية(٥٧).

(٥٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣/٤٣٧-٤٤١).
(٥٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل (ح رقم ٢٢٧٧).
(٥٥) ينظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٦/٣٠٤).
(٥٦) شفاء العليل (ص: ١٣٤-١٣٥)
(٥٧) ينظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص٤١-٤٢).

والفرق بين الخبر عن أفعال الله المتعلقة بربوبيته وبين صفاته، أنَّ الأفعال مشتملة على حدث وعلى زمن[٥٨]، والحدث هذا وصف، ولما كان كذلك كان الفعل المضاف إلى الله –عز وجل– لا يدلّ على الصفة التي اشتمل عليها هذا الفعل بإطلاق، بل قد يوصف الله –عز وجل– بها وقد لا يوصف؛ لأنّ باب الأفعال أوسع من باب الصفات، فمبناه ليس على التوقيف وإنما مبناه على صحة الخبر وجوازه على الله تعالى، فيجوز أن نخبر عن الله تعالى بما لم يرد في الكتاب والسنة، إذا كان خبراً صحيحاً يجوز عليه، لكن لا نعتقد أن هذا الخبر من أسمائه ولا من صفاته لعدم الدليل[٥٩].

مثاله قوله تعالى: {ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ} [سورة الفرقان:٥٩]، فاستواء الله –عز وجل– صفة أخذناها من فعل استوى؛ لأنَّ استوى مشتمل على حدث وهو الاستواء "الصفة"، ومشتمل على زمن وهو الماضي، ويُثبَتُ الاستواء هنا صفة لله –عز وجل– كما يليق بجلاله وبعظمته؛ لأنه متضمن كمالاً، فيقال من صفات الله الاستواء على العرش.

ومثاله كذلك، شهادة الجوارح يوم القيامة: {قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ٢١} [سورة فصلت:٢١]، فالإنطاق الإلهي صفة فعليه متعدية متعلقة بمشيئته سبحانه أخذناها من فعل أنطق– كما أن من صفاته الذاتية اللازمة النطق–؛ لأن أنطق مشتمل على حدث وهو الإنطاق "الصفة"، ومشتمل على زمن وهو الماضي حكاية عما سيكون يوم القيامة، فثبت الانطاق هنا صفة لله –عز وجل– كما يليق بجلاله وبعظمته؛ لأنه متضمن كمالاً، فيقال أن من صفات الله إنطاقه للجوارح يوم القيامة للشهادة لكمال عدله وقدرته.

وقد يضاف الفعل إلى الحق –عز وجل– ولا تُثْبَتُ الصفة التي تضمنها هذا الفعل، كما أنَّ باب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ فقد تطلق الصفة على الله –عز وجل– ولا يطلق الاسم، من مثل الاستواء والمستوي، فالواجب هو أن يعرف الفرق بين هذه الإضافات، فيفرق بين إضافة التسمية، وبين إضافة الصفة، وبين إضافة الخبر عن الفعل[٦٠].

وعلى هذا فصفة الإنطاق الإلهية شاملة لنوعي التوحيد، وذلك لإفراد الله تعالى بجميع أسمائه وصفاته التي لا تنبغي إلا له سبحانه وتعالى؛ لأن صفة الإنطاق لله تعالى تدل على الخالق والقادر وغيرها مما يدل على توحيد الربوبية، وتدل على الرقيب والشهيد وغيرها مما يدل على توحيد الألوهية.

وهذا يورث لدى المؤمن العلم بأن الله تعالى مطلع عليه فيتوب ويستغفر، وإنما يعامل المشرك بأن تشهد عليه جوارحه؛ لأنه لا يعرف الله تعالى معرفة الموحدين بل معرفة المشركين، ومعرفة المشركين معرفة الفطرة فليس لأحد أن ينكره، ومعرفة المؤمنين معرفة التوحيد والتنزيه، قال الله تعالى: {وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦} [سورة يوسف: ١٠٦]، وقال عز من

(٥٨) ينظر: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، شرح العقيدة الطحاوية (ص١٠٦).
(٥٩) ينظر: الرسالة التدمرية لابن تيمية القاعدة الثانية (٦٠- ٦٨).
(٦٠) ينظر: مدارج السالكين (٤١٥/٣).

قائـــــــــــــل: {قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ} [سورة المؤمنون: ٨٤-٩٠]، سحرتهم أهواؤهم وانقلبت بهم عن الله تعالى منكوسين لم يمن الله تعالى عليهم بنور التوحيد ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور[٦١].

وشهادة الجوارح لا تشمل المؤمنين، لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله تعالى يدني المؤمن فيضع عليه كنفه وستره من الناس ويقرره بذنوبه فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، ويُدعى الكافر والمنافق للحساب، فَيَعرضُ رَبُّه عليه عمله، فيجحد فيقول: أي رب، وعزتك لقد كتب عليَّ هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك: أما عملت كذا، في يوم كذا، في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتك أيْ رب ما عملتُه. فإذا فعل ذلك خُتِم على فيه. قال أبو موسى الأشعري: فإني أحسب أول ما ينطق منه الفخذ اليمنى، ثم تلا {ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ} [سورة يس: ٦٥]"[٦٢]، قال الفخر الرازي (٦٠٦هـ) رحمه الله: "الختم لازم الكفار في الدنيا على قلوبهم وفي الآخرة على أفواههم، ففي الوقت الذي كان الختم على قلوبهم كان قولهم بأفواههم، كما قال تعالى: {ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ ﴿٣٠﴾} [سورة التوبة: ٣٠]، فلما ختم على أفواههم أيضاً لزم أن يكون قولهم بأعضائهم؛ لأن الإنسان لا يملك غير القلب واللسان والأعضاء، فإذا لم يبق القلب والفم تعين الجوارح والأركان"[٦٣].

المطلب الثاني: أثر علم العبد بالإنطاق على استقامة توحيده.

عندما يستشعر الإنسان أن الله تعالى قادر على إنطاق جوارحه يوم القيامة، وشهادتها عليه بكل ما عملت في الدنيا، فإن هذا الشعور كفيل له في ترك كل ما يسوؤه سماعه يوم القيامة من شهادة الجوارح، قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لآية فصلت: "هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة، حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا، ويحلفون ما فعلوه، فيختم الله على أفواههم، ويستنطق جوارحهم بما عملت"[٦٤]، وقال السعدي رحمه الله: "{يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾} [سورة النور: ٢٤] فكل جارحة تشهد عليهم بما عملته، ينطقها الذي أنطق كل شيء، فلا

(٦١) ينظر: الحكيم الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل (٣٥٩/١).
(٦٢) وروى الإمام ابن جرير الطبري تعالى بسنده عن أبي موسى الأشعري، تفسير الطبري (٥٤٤/٢٠)، وأخرجه البخاري في كتاب: المظالم والغصب، باب: قول الله تعالى: {ألا لعنة الله على الظالمين} هود ١٨، برقم الحديث (٢٤٤١)، ومسلم في كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، برقم الحديث (٢٧٦٨).
(٦٣) الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ (٣٠٣/٢٦).
(٦٤) تفسير القرآن العظيم (٥٨٥/٦).

يمكنه الإنكار، ولقد عدل في العباد، من جعل شهودهم من أنفسهم"[٦٥]، وقد جاء في اتباع السنن واجتناب البدع، أن رجلاً وعظ آخر فقال: "يا أخي، أما لو علمت من أسخطت، ولعقوبة من تعرضت بفعلك هذا لغلت يدك إلى عنقك، فكم من ملك كريم قد شهد عليك بما فعلت، وغظته بما صنعت، أتتمرد على من خلقك، وخلق الخلق، وبسط عليك وعليهم الرزق، أما إنه لا يحتاج مع نظره إليك إلى شاهد عليك، فإن أنكرت شيئا مما حفظه وجحدت فعلاً قد علمه، قال ليديك: انطقي ولرجليك تكلمي، ولعينيك أشهدي فليت شعري ما تكون حجتك عليه وقد نطقت أعضاؤك، وشهدت عيناك نطقت يداك، وتكلمت رجلاك؟ ألم تسمع إلى قوله عز وجل:{يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾} [سورة النور: ٢٤]، أقام والله عليك خصما منك وشهوداً عليك، فأين الاعتذار وقد تقدم الإقرار، وخرست فلم تجد سبيلاً إلى الإنكار، فبكى الرجل"[٦٦]، وقال قتادة (٦١هـ): "ابن آدم، والله إن عليك لشهوداً غير متهمة من بدنك، فراقبهم واتق الله في سرك وعلانيتك، فإنه لا يخفى عليه خافية، والظلمة عنده ضوء، والسر عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن، فليفعل ولا قوة إلا بالله"[٦٧].

وإنطاق الجوارح للشهادة، من كمال عدل الله تعالى يوم القيامة، قال الشنقيطي (١٣٩٣هـ) رحمه الله: "في هذا العرض إشعار يتعلق بالقضاء وكمال العدالة، وهو إذا كان رب العزة سبحانه وتعالى، وهو على كل شيء شهيد، وبكل شيء عليم، وموكل حفظة يكتبون أعمال العباد، ومع ذلك لم يقض بين الخلائق بما يعلمه منهم ولا بما سجلته ملائكته، ويستنطق أعضاءهم، ويستشهد الرسل على الأمم والرسول صلى الله عليه وسلم على الرسل، أي بأنهم بلغوا أممهم رسالات الله إليهم، فلأن لا يقضي القاضي بعلمه من باب أولى، والعلم عند الله تعالى"[٦٨].

ومثل هذه الحقائق كفيلة بإصلاح سلوك المسلم في قوله وعمله، في سره وجهره؛ لأنه يخشى ذلك الموقف بين يدي الله تعالى وقد ارتكب الآثام، وإذ بجوارحه تشهد عليه، قد أنطقها ذو الجلال والإكرام، {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾} [سورة النازعات: ٤٠]، قال ابن كثير رحمه الله: "قوله: {وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ } [سورة فصلت: ٢٢]؛ أي تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم: ما كنتم تتكتمون منا الذي كنتم تفعلونه؛ بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي، ولا تُبالون منه في زعمكم؛ لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم؛ ولهذا قال: ﴿ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا

(٦٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٥٦٣).
(٦٦) ضياء الدين المقدسي، اتباع السنن واجتناب البدع، تحقيق: محمد بدر الدين القهوجي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م (ص٥٧).
(٦٧) تفسير القرآن العظيم (٣٤/٦).
(٦٨) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (٤٨٠/٨).

تَعۡمَلُونَ ٢٢ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ }؛ أي: هذا الظن الفاسد؛ وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم، ﴿ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾؛ أي: في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم..."[٦٩].

ويحسن إيضاح أن الأجساد نفسها هي التي تبعث مع أرواحها، وهذا هو الذي تقتضيه حكمة الله، حيث إن الجسد الذي أساء هو الذي يعذب، والجسد الذي أحسن هو الذي ينعم، ولهذا قال الله عز وجل في القرآن: {ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥} [سورة يس: ٦٥]، معناه: أن الأجساد التي كانت في الدنيا هي التي تتكلم؛ **لأنها شهدت بما عمل في الدنيا، ولو كانت أجساما جديدة لما كانت تعرف شيئا عن الدنيا، فكيف تشهد؟!** وقال الله عز وجل: {وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ} [سورة فصلت: ٢١]، فإذاً: تلك الأجساد هي التي تعاد وهي التي تنعم وتعذب، ولا يخلق أجساداً جديدة فتعذب أو تنعم؛ لأن الأجساد الجديدة لا تعرف شيئا عن الدنيا، والأجساد التي كانت موجودة في الدنيا هي التي أخبر الله بأنها تشهد[٧٠]، والله أعلم.

العمر ينقص والذنوب تزيد وتقال عثرات الفتى فيعود
هل يستطيع جحود ذنب واحد رجل جوارحه عليه شهود[٧١]

الخاتمة:

الْحَمد لله الَّذِي بنعمته تتمّ الصَّالِحَات، وَالصَّلَاة وَالسَّلَام على خير خلقه نَبينَا مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وعَلى آله وَصَحبه وَسلم، وَبعد.

فقد جرى الْعرف العلمي أَن تكون فِي نِهَايَة البحوث والكتب خَاتِمَة يعرض فيها خلاصة الْبَحْث وثمرته، وَقد تبين من خلال بحثي هَذَا أَن الإنطاق الإلهي يوم القيامة للجوارح على درجة عالية من الأهمية والأثر، ويتضمن عدداً من النتائج المهمة، التي نرصدها في النقاط التالية:

١- عقيدة أهل السنة والجماعة في صفة الإنطاق الإلهية كعقيدتهم في سائر الصفات الأخرى، لذا فصفة الإنطاق فعل لله تعالى لا يجوز تعطيلها، والنطق فعل العبد الذي لا يمكن إنكاره.

٢- المخالفون لأهل السنة والجماعة من المعطلة، لا يثبتون صفة الإنطاق لله تعالى كصفة فعلية اختيارية على اختلاف مذاهبهم، لكن منهم من يجعل الكلام مخلوقاً في المخلوقات الناطقة حتى

(٦٩) تفسير القرآن العظيم (١٧٢/٧).

(٧٠) عبد المحسن بن حمد العباد، شرح سنن أبي داود، (٥٢٨/١٠ ترقيم آلي) دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية **http://www.islamweb.net**.

(٧١) أحمد قبش بن محمد نجيب، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، دار الرشيد، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م (ص١٧٣).

يتوصلوا إلى تأييد مذهبهم القائل بخلق القرآن، ومنهم من يجعل نطق بعض المخلوقات من باب المجاز وليس من باب الحقيقة.

٣- أن لصفة الإنطاق الإلهية علاقة بسائر أنواع التوحيد، من حيث شمول توحيد الأسماء والصفات لتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ وذلك لأنه يقوم على إفراد الله تعالى بكل ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي لا تنبغي إلا له سبحانه وتعالى.

٤- الإيمان بصفة إنطاق الله تعالى للجوارح يوم القيامة، كفيل بتقويم سلوك الإنسان، وإصلاح أعماله وأقواله، وإبعاده عن كل ما يسوؤه سماعه يوم القيامة في مقامه بين يدي الله تعالى.

وأدعو الباحثين وطلاب الدراسات العليا، لإعداد دراسة تفصيلية تتناول الإنطاق الإلهي لجميع المخلوقات سواءً على الوجه المعتاد أو غير المعتاد، في الدنيا والآخرة، ومذاهب الناس على هذه الصفة العظيمة، والآثار العقدية والفقهية والسلوكية المترتبة على الإيمان بها، إذ ليس في الموضوع دراسات علمية أفردت الكلام على هذه الصفة وما يتعلق بها من مباحث متنوعة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد المرسلين.

المراجع

أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ). (بلا تاريخ). صحيح مسلم. (محمد فؤاد عبد الباقي، المحرر) القاهرة: دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي.

أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ). (١٤١٧هـ-١٩٩٦م). عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ المؤلف: (محمد باسل عيون السود، المحرر). دار الكتب العلمية.

أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م). تفسير القرآن العظيم (المجلد الثانية). (سامي بن محمد سلامة، المحرر) دار طيبة للنشر والتوزيع.

أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ). (١٤٠٧هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (المجلد الثالثة). بيروت: دار الكتاب العربي.

أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (٢٠٢-٢٧٥هـ). (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م). سنن أبي داود (المجلد الأولى). (شعَيب الأرنؤوط-محَمَّد كامِل قره بللي، المحرر) دار الرسالة العالمية.

أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). (بلا تاريخ). صحيح الجامع الصغير وزياداته. المكتب الإسلامي.

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ). (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م). الرد على الجهمية والزنادقة (المجلد الأولى). (صبري بن سلامة شاهين، المحرر) دار الثبات للنشر والتوزيع.

أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ). (بلا تاريخ). الإبانة الكبرى لابن بطة. (رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، المحرر) الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع.

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١). (١٤٤٢هـ-٢٠٢٠م). الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (المجلد الأولى (لدار ابن حزم)). (حسين بن عكاشة بن رمضان، المحرر) دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت).

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية. (١٤٤١هـ- ٢٠١٩م). شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (المجلد الثانية). (زاهر بن سالم بَلفقيه، المحرر) الرياض: دار عطاءات العلم.

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ). (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م). الجامع لأحكام القرآن. (أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، المحرران) دار الكتب المصرية.

أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ). (١٤٢٠هـ). مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني. (٣٧٣ هـ-٤٤٩ هـ). (١٤١٩-١٩٩٨). عقيدة السلف وأصحاب الحديث أو الرسالة في إعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة (ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، المحرر)، دار العاصمة.

أبو عمر بن عبد البر النمري القرطبي (٣٦٨-٤٦٣هـ). (١٤٣٩هـ-٢٠١٧م). التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (المجلد الأولى). (بشار عواد معروف، وآخرون، المحرر) لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ). (١٤٢١هـ-٢٠٠١م). مسند الإمام أحمد بن حنبل (المجلد الأولى). (شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، المحرر) مؤسسة الرسالة.

أحمد قبش بن محمد نجيب، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، دار الرشيد، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

أحمد بن يحي بن المرتضى (المتوفى: ٨٤٠ هـ). (١٣١٦هـ). المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد.

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م). منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (المجلد الأولى). (محمد رشاد سالم، المحرر) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م). الفتاوى الكبرى. (محمد رشاد سالم، المحرر) دار الكتب العلمية.

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). (١٤١٦هـ-١٩٩٥م). مجموع الفتاوى. (عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المحرر) مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م). النبوات. (عبد العزيز بن صالح الطويان، المحرر) الرياض: أضواء السلف.

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م). التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع (المجلد السادسة). (د. محمد بن عودة السعوي، المحرر) الرياض: مكتبة العبيكان.

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). (١٤٢٢هـ). جامع المسائل. (محمد عزير شمس، المحرر) دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي نجم الدين أبو الربيع (٦٥٧هـ-٧١٦هـ). (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م). الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية. (حسن بن عباس بن قطب، المحرر). الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ). (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م). العرش (المجلد الثانية). (محمد بن خليفة بن علي التميمي، المحرر) المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٤٣هـ). (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م). اتباع السنن واجتناب البدع (المجلد الأولى). (محمد بدر الدين القهوجي، محمد الأرناؤوط، المحرر) دمشق - بيروت: دار ابن كثير.

عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (المجلد الأولى). (عبد الرحمن بن معلا اللويحق، المحرر) مؤسسة الرسالة.

عبد الله بن يوسف الجديع. (١٤١٦هـ-١٩٩٥م). العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية (المجلد الثاني). دار الإمام مالك، دار الصميعي للنشر والتوزيع.

علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ). (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. بيروت: دار الفكر.

مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ). (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م). القاموس المحيط (المجلد الثامنة). (مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، المحرر) بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ). (١٤١٥هـ-١٩٩٥م). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). (١٤١١هـ-١٩٩١م). إعلام الموقعين عن رب العالمين (المجلد الأولى). (محمد عبد السلام إبراهيم، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ). (٢٠٠١م). تهذيب اللغة (المجلد الأولى). (محمد عوض مرعب، المحرر) بيروت: دار إحياء التراث العربي.

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ). (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م). تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (المجلد الأولى). (الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، المحرر) دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

محمد بن خليفة بن علي التميمي. (١٤١٨هـ-١٩٩٧م). مقالة التعطيل والجعد بن درهم (المجلد الأولى). الرياض، المملكة العربية السعودية: أضواء السلف.

محمد بن خليفة بن علي التميمي. (١٤١٩هـ-١٩٩٩م). معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (المجلد الأولى). الرياض، المملكة العربية السعودية: أضواء السلف.

محمد بن خليفة التميمي، (١٤٢٢-٢٠٠٢م). الصفات الإلهية تعريفها أقسامها. أضواء السلف.

محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ). (١٤٢١هـ-٢٠٠١م). القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (المجلد الثالثة). المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ). (بلا تاريخ) نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. (عبد الرحمن عميرة، المحرر). بيروت: دار الجيل.

محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ). (١٤١٤هـ). فتح القدير (المجلد الأولى). دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.

محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ). (١٣٩٥هـ-١٩٧٥ م). سنن الترمذي (المجلد الثانية). (أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، المحرر) مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى: ٧٧٤هـ). (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م). مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. (سيد إبراهيم، المحرر) القاهرة: دار الحديث.

محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ). (١٤١٤هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧هـ). (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م). فتح الرحمن في تفسير القرآن (نور الدين طالب، المحرر)، دار النوادر.

المواقع الالكترونية

عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، شرح سنن أبي داود، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net

الغنيمان، شرح العقيدة الواسطية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net